مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

تَّسْلِيْمٌ بلاغيٌّ:

الإِقْنَاعُ بَيْنَ أَدَاءِ المُتَكَلِّمِ وَتَصَوُّرَاتِ المُتَلَقِّي دِرَاسَةٌ تَطْبِيْقِيَّةٌ فِي خِطَابِ الصَّحَابِيِّ عَبْدِ اللهِ بنِ عَفِيْفٍ الأَزْدِيِّ

هادي سعدون هنون [1]

[1] جامعة الكوفة / كُلِّيَّة التربية الأساسيَّة / قسم اللُّغة العربيَّة، العراق؛

hadis.hannoon@uokufa.edu.iq

دكتوراه في اللغة العربية / أستاذ

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٥/٩/٢٣	٢٠٢٦/٢/٢	٢٠٢٦/٣/٣١

المُجَلَّـدُ (٢٥) العَـــدَدُ (٣٧)
شوال ١٤٤٧هـ . آذار ٢٠٢٦م

DOI:
10.55568/t.v25i37.187-211

CC BY NC

مُلَخَّصُ البحْث:

يتناول هذا البحث موضوع الإقناع بوصفه عملية تداولية تتفاعل فيها عناصر الخطاب بين أداء المتكلم وتصورات المتلقي، ساعيًا إلى الكشف عن الآليات اللغوية والبلاغية والحجاجية التي تسهم في بناء التأثير الإقناعي. ويعتمد البحث دراسة تطبيقية على خطاب الصحابي عبد الله بن عفيف الأزدي، بوصفه نموذجًا يعكس تداخل البعد العقدي والفكري مع الأداء البياني. ويركّز على تحليل البنية التركيبية والدلالية والأساليب البلاغية التي اعتمدها المتكلم في توجيه رسالته، مع بيان دور السياق في تشكيل أفق التلقي واستجابة الجمهور. وقد خلصت الدراسة إلى أن فاعلية الإقناع لا تتحقق ببلاغة الأداء وحدها، بل تتكامل مع الخلفيات المعرفية والنفسية والاجتماعية للمتلقي، مما يجعل الخطاب الإقناعي عملية تفاعلية قائمة على التأثير المتبادل بين الطرفين.

الكلمات المفتاحية: الإقناع، أداء المتكلم، تصورات المتلقي، الخطاب الحجاجي، عبد الله بن عفيف الأزدي

Persuasion between Speaker's Performance and Recipient's Perceptions: An Applied Study on the Companion Abdullah bin Afif al-Azdi's Discourse

Hadi Saadoun Hanoon [1]

[1] University of Kufa / Faculty of Basic Education /Department of Arabic Language,Iraq;

hadis.hannoon@uokufa.edu.iq

PhD.in Arabic Language/ Professer

Received:	Accepted:	Published:
23/9/2025	2/2/2026	31/3/2026

DOI: 10.55568/t.v25i37.187-211 Volume (**25**) Issue (**37**) Vol.25, Issue No. 37 Shawwal, 1447 AH / March, 2026 AD

Abstract:

This study examines persuasion as a pragmatic process shaped by the interaction between the speaker's performance and the recipient's perceptions. It aims to explore the linguistic, rhetorical, and argumentative mechanisms that contribute to constructing persuasive influence. The research adopts an applied approach through analyzing the discourse of Abd Allah ibn Afif al-Azdi as a model reflecting the intersection of ideological and intellectual dimensions with rhetorical expression. The study focuses on structural and semantic features, as well as the rhetorical strategies employed by the speaker in delivering his message, highlighting the role of context in shaping the horizon of reception and audience response. The findings reveal that persuasive effectiveness is not achieved solely through eloquent performance; rather, it emerges from the integration of the audience's cognitive, psychological, and social backgrounds. Thus, persuasive discourse is understood as an interactive process based on mutual influence between speaker and recipient.

Keywords: Persuasion, Speaker Performance, Audience Perception, Argumentative Discourse, Abd Allah ibn Afif al-Azdi.

المقدمة

رحلتي البحثيَّة مع واقعة الطَّف طويلة بدأت منذ عام ٢٠٠٨م في رسالتي للماجستير التي طُبعت بعدها تحت عنوان: ((التَّصوير الفنِّيُّ في خطب المسيرة الحسينيَّة من المدينة إلى المدينة))، وثَّقتُ من خلالها جميع الخطب أَثناء هذه المسيرة؛ لتصبح فيما بعد مرجعًا لكثير من الدراسات الحديثة، أَقول هذا؛ لبيان اطِّلاعي على مضامين هذه الواقعة العميقة؛ لأَنِّي أَردفتُ لتلك الدراسة مجموعَة من البحوث العلميَّة التي تنماز بجدَّتها في حينها، فحرصت في جميع تلك البحُوث على الجدَّة، وهي منشورة في المجلَّات العلميَّة داخل العراق وخارجه.

وبحكم تواصلي مع الدراسات اللِّسانيَّة الحديثة لا سيَّما اللِّسانيات الإدراكيَّة أو العرفانيَّة، تبادر إلى ذهني خطَاب عبد الله بن عفيف الأَزدي في أَحداث واقعة الطَّف، وهو من الشخصيات التي رافقت الرسالة النبويَّة، وفقد بصره ، وهو يشارك في حروب الدفاع عن القيم الإنسانيَّة التي دعا إليها الدين الحنيف، حرص على موالاته لأهل بيت النبي ﷺ، فوصل به العمر إلى واقعة الطَّف التي شَهدت قتل الإمام الحسين ﷺ ،وإخوته وأَصحابه وسبي عياله في سنة ٦١هـ ، استُشهد وهو يدافع عن هذا البيت النَّبوي على يَد عُبيد الله بن زياد أَمير الكوفة. ومن يتقصَّى خطابه الحجَاجيَّ الذي قُتل على إِثره يجد خطابًا موازيًا لآراء مفكري اللسانيات العرفانيَّة من أَمثال لايكوف، وجيل فوكوني، القائمة على ربط اللغة بالفكر عن طريق عمليَّات ذهنيَّة معقَّدة. فجاء البَحث تحت عنوان: ((**الإقناع بين أَداء المتكلم وتصورات المتلقي -دراسة تطبيقيَّة في خطاب الصحابي عبد الله بن عفيف الأزدي-**))، وأَحسب في بحثي هذا بعض الجدة؛ لأن أَغلب الدراسات الحجاجيَّة القديمة، والحديثة تُسلِّط الضَّوء على أَداء المتكلِّم فتصبُّ جلَّ اهتمامها على الخطَاب الحجَاجي المُستحصَل من تصوُّرات المتكلِّم، فتدرس أَدوات الحجَاج وعوامله، ووسائل الحجَاج

، وتقنيَّات الحجَاج، وغيرها من الاهتمامات التي تركِّز على الجانب المنتج للنص الخطابي، وربطه بمنتجه من دون تصَوُّرات متلقِّي الخطاب، والحق فكرة التصوُّرات الذهنيَّة لمتلقِّي الخطاب جاءتني كما مرَّ عن طريق اللسانيات المعرفيَّة الجديدة التي تدخل اللغة كقناة لنقل الأَفكار المتصوَّرة في الذهن، فتربط العمليَّة الكلاميَّة المنتجة للغة بتصوُّرات المتكلِّم الذهنيَّة، وبذلك يكون الخطاب الحجاجيُّ عبارة عن عمليَّة تصوريَّة تشاركيَّة بين المتكلِّم والمتلقِّي، بمعنى أنَّ الخطاب الحجاجيَّ لا يمكن أن يحصل من دون الخلفيَّات المعرفيَّة التي يتصوَّرها المتكلِّم، وأَوَّلها المرجعيَّات الثقافيَّة لمتلقِّي الحجاج ومنتجه.

والحقُّ في واقعة الطَّف عمق حجاجيّ واضح لعنوان البحث، ((**الإقناع بين أَداء المتكلِّم وتصوُّرات المتلقِّي**))، ووقع خيارنا على الصحابي عبد الله بن عفيف الأزديّ لسببين :

أَوَّلهما: قلَّة الدراسات البحثيَّة لهذه الشخصيَّة الإنسانيَّة التي أنتجت قيمًا أخلاقيَّة عالية رغم جميع التَّحديَّات المُحيطة بها من سُلطة، وأَموال، وفُرص الحصُول على المَناصب، والتي يمكن الحصول عليها بسهولة؛ نتيجة مكانته بين المسلمين في الكوفة، وغيرها من بقاع الدولة الإسلاميَّة في حينها.

وثانيهما: خطابه الحجَاجيّ مع عُبيد الله بن زياد (بن أَبيه) في الكوفة على الرغم من قصره إلَّا أَنَّه يُمثِّل مادَّة علميَّة واقعيَّة لمحوري المؤتمر الثَّالث والرَّابع.

تعدُّ هذه الشخصيَّة مصداقًا حقيقيًّا للمنظومة الأخلاقيَّة التي أَوصى به القُرآن الكريم لبني البشر لا سيَّما في محاربة الفساد؛ لأَنَّه من الشخصيَّات الحاضرة في واقعة الطَّف، والتي دعت لقول الحقِّ، ومناصَرة المظلُوم في أَصعب الظرُوف؛ فمثَّل قوله تعالى في سورة هود: ((**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**)) في أَدقٍّ وأَعمق تمثيل.

وأَحسب لهذا البحث أَهمِّيَّة في إضافته المعرفيَّة لأهداف المؤتمر المركزيَّة عن طريق تسليط الضَوء على شخصيَّة إنسانيَّة انمازت بثقافتها القرآنيَّة الحاضرة في مُجريات واقعة الطَّف من جهة وقلَّة الدراسات المسلَّطة عليها من جهةٍ ثانية ،فضلًا عن أهمِّيَّة البحث الذي سيتبنَّى رؤية تطبيقيَّة لعلاقَة الأداء الحجَاجيِّ بمتلقِّي الخطَاب، فسنتبنى في تحليلاتنا للخطاب الحجَاجيِّ كيفيَّة تأثُّر أَداء مُنتج النَّصِّ الخطابيِّ بتصوُّرات المتلقِّي القبليَّة عن طريق المنهج التَّحليليِّ، وبهذه الرؤية وتلك الأَدوات ستبنى خطَّة البحث على وفق الآتي:

المبحث الأَوَّل: ويتضمَّن التَّعريف بمفاهيم ومصطلحات الدراسة: (الإقناع- أَداء المتكلِّم- متلقِّي الخطاب)

المبحث الثاني: ويتضمَّن دراسة تطبيقيَّة في خطبة عبد الله بن عفيف الأَزدي على وفق ما جاء في المصادر التأريخيَّة من أَمثال تاريخ الطبريّ، وأَنساب الأَشراف، والفتُوح، ومقتل الخوارزميّ، والكامل في التاريخ، يتضمَّن التَّحليل القيم الأخلاقيَّة المستنبطة من الخطَاب القرآنيِّ الكريم، وكيفيَّة إنتاجها المعرفيِّ على وفق مُحدِّدات البَحث في الإقناع والتَّواصل.

الخاتمة والنتائج.

قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأَوَّل

التَّعريف بمفَاهيم ومُصطلحات ورؤية الدراسَة البحثيَّة

أَوَّلًا: الإقناع:

نشأة الإقناع مُرتبطة بنشأة الإنسان، وهو يُحاول البحث عن وجوده في عالمه الجديد، فيضع في حواريَّاته النفسيَّة مجمُوعة من التَّصوُّرات المُحيطة التي فهمها من الطبيعة من حوله باحثًا عن إقناع ذاته مرَّة ، ومحاججًا مرَّة أخرى؛ لأَنَّ الإقناع في أَبسط حدوده المعرفيَّة العمليَّة التَّواصليَّة التي يحاول فيها المتكلِّم التَّعبير عن أَحاسيسه أَو عن حالة فريدة إلى العالم أَو الذات عن طريق توظيفه مجمُوعة من الأَدلَّة المؤثِّرة في قناعات المتلقِّي ، فيدخل في عمليَّة التغيير، والتَّعزيز للمواقف، والمعتقدات، والسلُوك ، والحديث عن الإقناع حديث عن الحجَاج، فهما لصيقان لكلِّ عمليَّة حواريَّة، والممارسة الحجاجيَّة في طبيعتها مكون مشترك بين كل الثَّقافات؛ لأنَّ ((العمليَّة التواصليَّة بين البشر بجميع أَشكالها التعارفيَّة أو التنافسيَّة الناتجة عن التدافع الفكريِّ والمذهبيِّ، أو الصراع بين المصالح، أو الخلاف حول السُلطة، قاسم مشترك بين تلك الثقافات)).

وعند تقصِّي تلك الرؤية في الثَّقافة العربيَّة والغربيَّة نجدها بين ثلاثَة مفاهيم على الأَقل، فجعل العرب القدامى الحجاج مرادفًا للجدل، ووظَّفه الفلاسفة الغرب من أَمثال أَرسطو كقاسم مشترك بين الخطابة والجدل، أَمَّا المحدَثون منهم فجعلوا له نظريَّة خاصَّة تجعل منه مبحثًا فلسفيًّا ولغويًّا مستقلًّا عن صناعة الجدل وصناعة الخطابة ، ولعلَّ تقسيمات بيرلمان وتيتيكا في البلاغة الغربيَّة قد أَصابت كثيرًا في تميُّزيها بين نوعين من الإقناع، الأَوَّل المُستقطَب من الخارج على وفق مقام المُستقطِب، والثَّاني ينبعث من النَّفس، وهو الَّذي يصنع متلقِّي كوني.

وفي تصوري قولهم من النَّفس، وصناعة مستمع كوني، هذه رؤية مُتأخِّرة جدًّا

لرؤيـة واضحـة أَشـار إليهـا الله سـبحانه وتعـالى في القُـرآن الكريـم بقـول جـلَّ شـأنه: ((**وَإِذْ قَـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلَائِكَـةِ إِنِّي خَالِـقٌ بَـشَرًا مِـنْ صَلْصَـالٍ مِـنْ حَمَـإٍ مَسْـنُونٍ❋ فَـإِذَا سَـوَّيْتُهُ وَنَفَخْـتُ فِيـهِ مِـنْ رُوحِـي فَقَعُـوا لَـهُ سَـاجِدِينَ❋ فَسَـجَدَ الْمَلَائِكَـةُ كُلُّهُـمْ أَجْمَعُـونَ❋ إِلَّا إِبْلِيـسَ أَبَـى أَنْ يَكُـونَ مَـعَ السَّـاجِدِينَ**))(**الحجر:٢٨- ٣١**) بمصـداق أنَّ الـرُّوح التـي أَودعهـا الله سـبحانه وتعـالى فينـا، تُمثِّـل عُمـق القيـم والمبـادئ الإنسـانيَّة العليـا التـي زُرعـت في النَّفـس البشريَّـة، والتي لا تجافي الحقيقـة مطلقًـا، فقناعـات النَّـاس عندمـا تـأتي مـن الخـارج قـد يصيبهـا شـوائب كثيرة؛ لأنَّهـا مرتبطـة بالعامـل الخارجـيِّ، فقـد يدخـل في تفاصيلهـا (إبليـس) فتمتـزج بنـوازع شـيطانيَّة مخلوطـة بالطَّمـع، وحـبِّ الـذات خـلاف التـي أَودعهـا الله سـبحانه وتعـالى في روح آدم، وعـلى هـذا الأَسـاس يرتبـط الإنسـان بعوامـل داخليَّـة تمثـل (**الـروح + الأنـا البشريَّـة**)، وعوامـل خارجيَّـة تمثِّـل الـشراكات الدنيويَّـة التـي يمكـن أن يصنعهـا الإنسـان في حـدود تصوُّراتـه المعرفيَّـة في الإيجـاب والسـلب، والمـزج بـين تلـك التصـوُّرات، ولعـلَّ الشـكل أدنـاه يوضِّـح المقصـود أعـلاه:

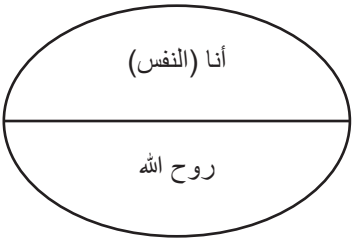

شـكل (١): يوضـح التصـوُّر الذهنـيُّ لحقيقـة خلـق الإنسـان عـلى وفـق مـا ورد في الخطـاب القـرآنيِّ.

شِكل توضيحي لما يتضمَّنه جَسد الإنسَان

وفي الشـكل أعـلاه التصـوُّر الذهنـيُّ لحقيقـة خلـق الإنسـان عـلى وفـق مـا ورد في الخطـاب القـرآنيِّ، فيمكـن تقسـيم الداخـل بنصفـين:

الأوَّل: يتضمَّـن النَّفـس البشريَّـة، ومـا تمتلـك مـن نـوازع نفسـيَّة مرافقـة لقراراتـه

الإراديَّة (الإيجابيَّة – السلبيَّة)، فيختار أَحدها من دون تدخُّل الذَّات الإلهيَّة فيها كما جاء في قوله تعالى:﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾ (الإنسان: ٢-٣)

الثاني: روح الله التي بثَّها في الإنسان، وهي مرافقة له تعمل بما يمكن أن يتَّخذه من قرارات الأَعمال الصالحَة وحسب، وخير تمثيل لها في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**﴾(الحجر:٢٨- ٣١.) ، هذه الرؤية التصوريَّة تؤمن بها اللسانيَّات العرفانيَّة المُعاصرة، والتي ربطت النتاج الفكريَّ بتصوُّراته الذهنيَّة المنتجة للسلُوك، وتُعدُّ اللغة ناقلة للمعرفَة التي أَنتجها الفكر أَو الذهن البشريُّ، فهي علم جديد نسبيًّا يجمع بين الدراسة اللسانيَّة، والدراسة العقليَّة أي تهتمُّ بالجانب العقليِّ المتَّصل باللغة؛ لذلك توصف بأنَّها تيار لساني مُعاصر يعمل على دراسة العلاقة بين اللغة البشريَّة والذهن بما فيها الاجتماعي، والمادِّي، والبيئيّ، أي العلاقة بين اللغة والذهن والترجمة الاجتماعيَّة، والمادِّيَّة، والبيئيَّة[١].

هذه الرؤية المتساوقة مع مصطلح الإقناع في الخطاب الحجَاجيِّ هو من سيكشف لنا القدرات العاليَّة التي مثَّلها عبد الله بن عفيف الأزديِّ في الكشف عن مضامين هذا الإقناع عن طريق الجانب التطبيقيِّ في المبحث الثَّاني من هذا البحث، فلا نريد الإطالة في هذا الموضع؛ لأنَّه سيفتح لنا بابًا معرفيًّا جديدًا يتضمَّن إنتاج الخطاب الإقناعيِّ الذي خرج من أُطر التَّوظيف اللغويِّ إلى التَّصوُّر الذهنيِّ المرتبط بإيعازات الدَّماغ.

---

١ ويليام كروفت ودي. ألان كروز, اللسانيات الإدراكية: مدخل إلى المفاهيم الأساسية *Cognitive Linguistics: An Introduction*, د.ت.

ثانيًا: أَداء المُتكلِّم

دخـل مُصطلـح الأَداء الفنِّـيِّ في تفاصيـل الفنـون المعرفيَّـة المتنوِّعـة مثـل المَـسرح، والتَّمثيـل، والسـينما، ووجـد هـذا المصطلـح في رؤيـة نعـوم تشومسـكي قفـزة نوعيَّـة عندمـا فـرق بـين مفهومـين أَساسـيين في دراسـة اللغـة، الأَوَّل: أَسـماه الكفـاءة اللغويَّـة (Competence)، وهـي المعرفـة الضمنيَّـة للقواعـد اللغويَّـة التـي يمتلكهـا المتحدِّثـون الأصليُّـون للغـة، والثَّـاني: الأَداء اللغـويّ (Performance)، وهـو الاسـتخدام الفعليّ للغـة، فخلـص بـأنَّ الكفـاءة اللغويَّـة تعكـس النّظـام العقـلي للغـة، بينـما الأَداء اللغـويّ هـو التطبيـق الفعـلي لهـذا النظـام ، وهـذا يعنـي أنَّ الأَداء والمُتكلِّـم مصطلحـان متلازمـان يُكمِّـل بعضهـما الآخـر في العمليَّـة التوَّاصليَّـة الإقناعيَّـة، ولا نحتـاج في هـذا الموضـع التَّعريـف بمصطلـح المتكلِّـم؛ لوضوحـه في عمليَّـة الأداء الفنِّـي الـذي نحتـاج الوقـوف عنـده قليـلًا، فـالأداء في العمليَّـة الحجاجيَّـة يتمثَّـل بمجموعـة مـن الآليَّـات اللغويَّـة المرتبطـة باختيـار وتوظيـف اللغـة (الأسـلوب)، وغـير اللغويَّـة المرتبطـة بشـخصيَّة المتكلِّـم، وقدراتـه الصوتيَّـة عـن الطريـق التَّحكـم بالنَّـبر، ومسـتويات الصَّـوت فضـلًا عـن قـدرات إثـارة التَّفاعـل مـع الآخريـن. وعـلى هـذا الأَسـاس هـذا المصطلـح يقـترن مع مصطلـح آخـر هـو الكفايـة اللغويَّـة وتعنـي: ((القـدرة التـي تتكـون لـدى الفـرد المتكلِّـم، وتمكِّنـه مـن التعبـير عـن نفسـه، والإتيـان بعـدد لا نهائـي مـن الجمـل))[٢]، هـذه الكفايـة اللغويَّـة مُرتبطـة تواصليًّـا بـالأَداء الكلامـي الـذي يُعـرَّف بأَنَّـه: ((التحقيـق العينـي لهـذا التمكُّـن اللغـويّ أَي الـكلام المنطـوق أَو المكتـوب الـذي قـد يختلـف أَو يتَّفـق وقواعـد اللغـة بشـكل أو بآخـر تبعًـا لظـروف الـكلام أَو المُتكلِّـم))[٣].

فعمليَّـة الإقنـاع ترتبـط بعنـاصر كثـيرة، ولا تختـصر عـلى مـا يقدِّمـه المتكلِّـم مـن حُجـج وأَدلَّـة، والأداء المتضمِّـن لكثـير مـن العنـاصر الجزئيَّـة هـو أَحـد تلـك العنـاصر وأحسـب

٢ سامي عياد حنا، و كريم زكي، و نجيب جرجيس, معجم اللسانيات الحديثة مكتبة لبنان(د.ت.), ٧٩.
٣ جرجيس, ٧٩.

أنَّه أهمُّها؛ لأنَّ الدَّليل لوحده لا يكفي لعمليَّة الإقناع فيحتاج إلى قدرات أدائيَّة مرتبطة بشخصيَّة المتكلِّم، فيرتبط الإقناع بما يقدِّمه من أداء تعبيريٍّ، فتقديم الدَّليل بأداء شخصيَّة ضعيفة لا تمتلك الثّقة الكافية في أدلَّتها وحججها فعلى الرغم من قوَّتها فإنَّها تشكِّل عاملًا سلبيًّا على درجة إقناع المتلقِّي فضلًا عن الخلفيَّة المعرفيَّة التي يمكن أن يمتلكها هذا المتكلِّم، وهذه الرؤيَّة حضرت في التّراث البلاغيِّ العربيِّ القديم، فظهرت في تقعيدات السَّكاكيِّ في حديثه عن المقام الذي لم يختصره على الموقف الخارجيِّ، فأَدخل العلاقات بين المكوِّنات اللغويَّة كمقام داخليٍّ ملزم في الإقناع، فبهذه الصورة يكون الحال يبني الخطاب، والخطاب يبني الخطاب، وبهذا المستوى من التفكير يكون السكاكيُّ قريبًا عن رؤيَّة الدراسات اللسانيَّة التداوليَّة الحديثة[٤].

وهذا ما يمكن أن نرصده في حجاجيَّة الصَّحابي عبد الله بن عفيف الأزديِّ في خطابه الحجاجيِّ مع زياد بن أبيه في الكوفة، فقوَّة الشخصيَّة التي يمتلكها واضحة في تجلِّيات الخطاب الذي أَنتجه، فالقوَّة لا تقاس بالمنصب أو السُلطة، فعند المقارنة بين ما يمتلكها المتكلِّم (عبد الله بن عفيف الأزديّ)، والمتلقِّي (عبيد الله بن زياد بن أبيه) من سلطة، فلا شكَّ أنَّ الفارق كبير، فزياد يملك إمارة الكوفة، ولديه القدرة السلطويَّة الواضحة، ولكن الخطاب الحجَاجيَّ الذي سنقف عنده في المباحث اللاحقة ستؤكِّد قوَّة شخصيَّة عبد الله بن عفيف الأزديِّ على الأَمير، فتنتَصر سُلطة الحجاَج على حجَاج السُلطة.

ثالثا: مُتلقِّي الخطَاب:

المتكلِّم المبدع هو من يرصد الحالة الشعوريَّة لمتلقِّي الخطاب، ويمتلك الخلفيَّة المعرفيَّة للظروف المحيطة بإنتاج الخطاب الحجَاجيِّ، والقادرة على مساندة توليد التَّصوُّر المحوريّ لإنتاج المعرفة التصوريَّة، ومن هذا المنطلق يمكن القول بأنَّ

٤ عادل, بلاغة الإقناع في المناظرة, ٧٦_٧٧.

الخطاب الحجاجيَّ المتجاهل لقبليات المتلقِّي، والظروف المحيطة به لن يتمكَّن من تحقيق التَّفاعل والإقناع بمستواه الفرديّ (الجهة المستهدفة من الخطاب الحجَاجيّ)، ولا الجماعي (الجمهور)، وحقيقة هذه الفكرة تعود بنا إلى الأَفكار النقديَّة العربيَّة القديمة التي أشركت المتلقِّي في العمليَّة الإبداعيَّة لإنتاج النصُوص الأدبيَّة بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فيطالعنا في ذلك، قول: بشر بن المعتمر (ت ٢١٠هـ)، في صحيفته واصفًا البليغ: ((أن يكون لفظك رشيقًا عذبًا، وفخمًا سهلًا، ويكون معناك ظاهرًا مكشوفًا، وقريبًا معروفًا، إمَّا عند الخاصَّة إن كنتَ للخاصَّة قصدْتَ، وإمَّا عند العامَّة إن كنتَ للعامَّة أردْت، والمعنى ليس يشرف أن يكون من معاني الخاصَّة، وكذلك ليس يتَّضع بأن يكون من معاني العامَّة، وإنَّما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكلِّ مقام من المقال ...))[٥]، وفي موضع آخر يقول: ((ينبغي للمتكلِّم أن يعرف أَقدار المعاني، ويوازنَ بينها وبين المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلِّ طبقة من ذلك كلامًا، ولكلِّ حالة من ذلك مقامًا، حتَّى يَقْسِم أقدارَ الكلام على أقدار المعاني، ويَقْسِمَ أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات))[٦]. فعبارة: ((لكلِّ مقام مقال))، يدخل المتلقِّي كعنصر من عناصر العمليَّة الإبداعيَّة، فلا شَكَّ المعرفَة بالجوانب التأريخيَّة، والثقافيَّة، والسياسيَّة، والاقتصاديَّة لمتلقِّي الخطاب تساعد في توجيه تصوُّرات المتكلِّم عبر تصوُّر تأريخيٍّ، أَو سياسيٍّ، أَو اقتصاديٍّ على وفق تصوُّرات المتكلِّم، وهذه الرؤيَة الاستباقيَّة التصوُّريَّة في إنتاج الخطاب الحجَاجي بصورته العامَّة وجدنا تمثُّلاتها في خطاب عبد الله بن عفيف الأزدي في خطابه مع عبيد الله بن زياد أمير الكوفة، والذي سنقف عنده في المبحث التطبيقيِّ.

٥ الجاحظ ,أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البيان والتبيين, ط١ بيروت: دار ومكتبة الهلال, (١٩٦٠), ١/ ١٣٦.
٦ الجاحظ, ١/ ١٣٨-١٣٩.

المبحث الثاني

دراسة تطبيقيَّة في خطبة عبد الله بن عفيف الأَزديِّ

تولَّد عندنا في تمهيد هذا البَحث فكرة عامَّة نتقاسمها بأنَّ قضيَّة الإقناع لا ترَتبط بمُنتج الخطَاب الحجَاجيِّ مباشرة ، فهناك مجمُوعة من التَّصورات الذهنيَّة التي تَفاعل معها قبل مرحلة إنتاج الخطاب ، ومنها الخلفيَّة التأريخيَّة لواقع متلقِّي الخطاب ، والظروف المحيطة به ، وليس هذا وحسب بل هناك مجموعة من القيم الإنسانيَّة التي يؤمن بها هذا المتكلِّم أو ذاك ، فتظهر في أدائه الحجاجيِّ بصورة مباشرة أو غير مباشرة في تصرُّفاته، وسلوكيَّاته، هذه القيَّم مع الخلفيَّة التأريخيَّة والثقافيَّة التي يمتلكها منتج النَّصِّ الخطابي تتفاعل تفاعلا مزجيًا، فتولِّد تصوُّرًا جديدًا مخالفًا لمن لا يمتلك تلك القيم والمرجعيَّات التأريخيَّة والثقافيَّة، وهذه الفكرَّة تتبناها اللسانيَّات العرفانيَّة المعاصرة أو ما يُعرف باللسانيَّات الإدراكيَّة Cognitive Linguistics))، والتي نشأت بعد التحوُّلات المعرفيَّة الحاصلة في منتَصف القرن العشرين، وبزوُغ مجمُوعة من النَّظريَات المعرفيَّة المتقدِّمة، ولعلَّ أهمَّها نَظريَّة المَعلومَات (الذَّكاء الاصطناعيّ) الذي يعمَل على جَعلِ الآلة تُؤدِّي مَا يؤدِّيه البّشَرُ مِن أَعْمَالٍ بتمكينها مِن مَهارةٍ ذِهنيَّة ذَكيَّة لَها قُدرات الذَّكَاء التي للذهنِ البَشريّ[٧]، فبدت تظهر مَع مؤلَّفات جورج لا يكوف (نساء ونار وأشياء خطرة)، ولانقاكر في كتبه من أساسيَات القواعدِ المَعرِفيَّة ، والحديث طويل في نشأتها فهي لم تكن وليدة صدفة، ويمكن العودَة لكثير من المصَادر للبحثِ عن نشأتها الأوليَّة[٨]، تهدف هذه اللِّسانيَّات دِراسَة ((الذِّهن فِي جَميعِ مَظَاهِرِه))[٩] ، فتقوم بوصف

٧ ابن دحمان, عمر "الاستعارات والخطاب الأدبي مقاربة معرفية معاصرة" (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري, ٢٠١٢), ١٢.

٨ ابن غريبة, عبد الجبار. مدخل إلى النحو العرفاني, ط١ تونس: مسكلياني للنشر، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة, (٢٠١٠).

٩ ميهايو أنطوفيتش, "مكانة علم الدلالة في العلوم العرفانية المعاصرة," ترجمة. حليمة أبو الريش, مجلة فصول, العدد١٠٠. (د.ت.): ٩٦.

التَصوُّرات، والمَعَارِف ، وَعَمَليَّات مُعَالجة المَعلومَات، وإعَادة صياغتهَا، وتهتم بدِراسَة المَبادِئ العَامَّة لِتنظيم القُدراتِ الإدراكيّة للإنسانِ في آليةٍ ذِهنيَّة مُوَحّدة، وتثبيت عَلاقَاتها المُتبادلة، وَتفاعُلاتهَا[١٠].

عملّت تلكّ اللِّسانيَّاتُ الإدراكيَّة على الربَّط بين اللَغة والتَّصور القّائم على الفِكر؛ لأنَّ أصحابها يرَون اللُّغة تَعكِسُ أنماطَ التَّفكيرِ عند الإنسان ، وتَعرضُ الأفكارَ وتبيّن طبيعتها، فهي: ((تبحثُ في العَلاقةِ بَين الثَّقافةِ واللُّغةِ والإدراكِ،...، وتَرَى أنّ اللُّغَةَ جزءٌ مِن القُدُراتِ الإدراكيَّة الشَّامِلة لدَى الإنْسَان))[١١]، فالمتكلِّم في طبيعته يمتلك تصورات خاصَّة لكلِّ معنَى من المعاني خارج اللغة المنطوقَة أو المكتُوبة ، وللمُتلقِّي تصورات مُماثلة خاصَّة قائمة على خبرتِه وموروثه، وعلى هذا الأَساس يَنتج النَّص اللغوي ضمن بنيَّة إدراكيَّة متُفاعلة متنوّعة ومُتباينة تحكمها القُدرات الذهنيَّة للمتكلِّم والمتلقِّي؛ لأنَّها مبنيّة على ((إنشَاء تَصوراتٍ مُنظَّمَة وَتشكيلِها، وَقدرته على تصوّرِ مُستويَاتٍ مُتَعَدِّدَة متنوّعة تَختلِفُ فيما بينها مِن حيث درجة التَّجريد للتعبيرِ عَن الحَالاتِ والوَضعِيَّاتِ بِمُختَلَفِ أنواعهَا، وَيُمكِننا كذلك أنْ نَذكرَ قدرتَه عَلى التَّأليفِ بَين أبنيةٍ بَسيطةٍ وإقامةِ عَلاقَات بينها لِتكوينِ أبنيةٍ حَركيّة أكثر تَعقيداً، وَكذلك قُدرَته عَلى تَنظيمِ نفسِ المَضمون بطرقٍ مُختلفة))[١٢]

هذه الرؤيَّة مصاديقها واضحة في تطبيقات الصَّحابي عبد الله بن عفيف الأَزدي في حجاجه مع زياد بن أَبيه فذكر الطبري, وثوبه بوجه ابن زياد في الكوفة، بعد صعود الأَخير, أَعواد الخطابة, وافتخر بقتل الإمام الحسين u، فرَّد عليه عبد الله بن عفيف, قائلًا : ((**يَابنَ مَرجَانَةَ إِنَّ الكَذَّابَ ابنَ الكَذَّابِ أَنْتَ وَأَبُوكَ وَالّذِي وَلاّكَ**

١٠ زينايدا بوفوفا ويوسف ستيرنين, اللسانيات الإدراكية, ترجمة. تحسين رزاق عزيز, (د.ت), ١٤.
١١ التميمي, جنان. الزمن في العربية من التعبير اللغوي إلى التمثيل الذهني دراسة لسانية إدراكيّة, ١٥,٢٠١٢.
١٢ ابن غريبة, مدخل إلى النحو العرفاني, ٣٩.

وَأَبُوهُ, يَابنَ مَرجَانَةَ, أَتَقتُلُونَ أَبنَاءَ النَّبِيينَ, وَتُكَلِمُونَ بِكَلاَمِ الصِدِيقِينَ)) [١٣] [١٤] [١٥] ، وقد حرصنا على ذكر المصادر التي تمثِّل أُمهات الكتُب التي أَرَّخت لحادثة واقعة الطَّف في هامش البَحث؛ لبيان مدى صحَّة النَّص، وقوَّته، ولو أَخضعنا الخطاب الحجَاجي القَصير الذي بين أيدينا لوجدناه يتضمَّن كثير من التَّصوُّرات القبليَّة عند منتج الخطاب، والمرتبطة بمجموعة من القيّم الاجتماعيَّة، والدينيَّة التي أصبحت جزءًا لا يتجزأ من تصوُّراته للموقف، فحتى ينتج خطابًا حجاجيًّا إقناعيًّا مؤثِّرًا، ونحكم عليه بالإقناع، والتَّأثير بدلالة توثيقه، ونقله من قبل أَقدم المصادر التأريخيَّة عبر العصُور بهذه الصُّورة فكيف أَنتج هذا الخطاب الحجَاجي؟ وهل تمازجت في ذهن المتكلِّم بعض القيم لتشكل مضامين الخطاب الحجاجيِّ؟

من يُنعم النَّظر في الخطَاب الحجَاجيِّ يجد أنَّ المتكلِّم استند إلى قيمة معرفيَّة، وظَّفها في حجاجه مع متلقِّي الخطَاب من أَجل رفع مستويات إقناع الجمهور وهي رؤيته التصوريَّة لمفهومي (**الصدق والكذب**)، فهما قيمتان اجتماعيتان مُتضادَّتان يُعبِّران عن الشَّيء، وضدّه في خطاب المجموعة المنتميَة لبيئة واحدة، ركّز المُتكلِّم على إسناد الكذب إلى متلقِّي الخطَاب رغم صعوبة الموقف متَّخذًا من تصوُّراته القبليَّة دليلًا مؤثِّرًا في قناعات الجمهور، فتوجيه صفة (الكذب) إلى المتلقِّي لم يكن عبثيًّا غير مستند إلى تصوُّرات معرفيَّة سابقة للحدث، كما فعل زياد بن أبيه عندما اتَّهم الإمام الحُسين عليه السَّلام بالكذب، وإنَّما أَرجع تلك الصفة، وهذا القول لدلائل قيميَّة تصوريَّة يؤمن بها هو، ويقتنع بها الجمهور، فقدم المتكلِّم دليلًا إقناعيًّا على صدق هذا القول بتصوُّرين عميقين ثابتين عند الجمهور هما:

١٣ الطبري, محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غال الأملي. تاريخ الطبري(تاريخ الرسل والملوك), تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر: دار المعارف, ١٩٦٠), ٥/ ٤٥٩.

١٤ البلاذري, أحمد بن يحيى بن جابر .أنساب الأشراف, حققه وعلق عليه. محمد باقر المحمودي, ط١ بيروت-لبنان: دار التعارف للمطبوعات, (١٩٧٧), ٣/ ٢١٠.

١٥ القالي, أبو علي كتاب الأمالي ,بيروت-لبنان: دار الآفاق الجديدة(د.ت.), ٥/ ١٣٤.

أَوَّلًا: التصـوُّر الاجتماعـي للنسـب: وهـذا التصـوُّر يتمثَّـل في مناداتـه ابـن زيـاد بقولـه: (**يَابـنَ مَرجَانَـةَ**)، **و (ابـن الكـذاب)**، فأسـلوب النّـداء بهـذه الصفـة ، وإعـادة نسـبه لأمِّـه مـن دون أبيـه مـن قبـل المتكلِّـم يعطـي تصـوُّرًا واضحًـا لمتلقِّـي الخطـاب عـن خلفيَّـات مضمـرة لزيـاد بـن أَبيـه، ((فالصـورة الكنائيَّـة المتمثِّلـة في (ابـن مرجانـة) و (ابـن الكـذاب) كنايـة عـن صفـة، أعـادت ذهـن المتلقِّـي في التدقيـق لتفاصيـل الخطـاب, فنشـأت مقارنـة اجتماعيَّـة عـلى وفـق مـا أملتـه الصـورة أَفضـت إلى التَّصريـح بنسـب المخاطـب الـذي لا يقـوى عـلى مواجهـة نـدّه الحصـين الـذي أَذهـب الله عنـه الرِّجـس وطهَّـره تطهـيرًا إشـارة بقولـه جـلَّ شـأنه: ((إِنَّـمَا يُرِيـدُ اللهُ لِيُذْهِـبَ عَنْكُـمُ الرِّجْـسَ أَهْـلَ الْبَيْـتِ وَيُطَهِّرَكُـمْ تَطْهِـيرًا)).(الأحـزاب: ٣٣), فأفقـدت الصـورة المخاطـب نزاهـة النَّسـب في داخـل المجتمـع مـن خـلال تذكـير النـاس وتنبيههـم بحقيقـة نسـب المخاطـب ودناءتـه المتعارضـة مـع موقـف الإمـام الحسـين عليه السلام وأهـل بيتـه))[١٦]

وحقيقـة القَـول بالفـنِّ الكنائـيِّ عـلى وفـق الرؤيـة البلاغيَّـة القديمـة لم يعـد محطَّ قبُـول في الدراسـات اللسـانيَّة العرفانيَّـة، فالكنايَـة في الفكـر التقليـديِّ البلاغـيِّ القديـم يرصـد الفَـنَّ الكنائـيِّ كظاهـرة لغويَّـة تعنـي: ((أن يرُيـد المُتكلِّـم إِثبـات مَعنـى مـن المعـاني، فـلا يذكـره باللَّفـظ الموضُـوع لَـه باللغـة، ولكـن يجيء إلى معنـى هـو تاليـه وردفـه في الوجـود فيومـئ بـه إليـه ويجعلـه دليـلاً عليـه))[١٧]، لكـن المنظـور الحديـث عـلى وفـق اللسـانيَّات المعرفيَّـة يعـدُّ ظاهـرة ذهنيَّـة مشـتقَّة مـن حقائـق أصليَّـة، وعـلى هـذا الأَسـاس يمكـن القـول بـأنَّ الكنايـة التقليديَّـة بصـورة خاصَّـة، والمجـاز التقليـدي بصـورة عامَّـة تسـتبدل كلمـة بأخـرى، وفي حـال تغـيَّر اللفـظ فـإنَّ المعنـى يبقـى نفسـه مـن دون أَي تغيـير أي

١٦ هنون, هـادي سعدون. التَّصوير الفَنِي في خُطَب المسيَرة الحسينيَّة, ط١ العتبَة العَلويَّة المُقدَّسة, (٢٠١١), ١٨٢_١٨٣.

١٧ الجرجـاني, عبـد القاهـر. دلائـل الإعجـاز في علـم المعـاني, تحقيـق. محمـود محمـد شـاكر, ط٥ القاهـرة: مكتبـة الخانجـي, (٢٠٠٤), ٦٦.

لا ينتج تصوُّرًا أو معنًى جديدًا للخطاب، خلاف الكناية في اللسانيَّات المعرفيَّة التصوُّريَّة التي تقوم على أَساس الإسناد ، فتسند لفظ إلى آخر، فيحدث التفاعل بينهما، ومن ثم الحصول على معنى جديد لا علاقة له بمعنى الطرفين المستقلَّين.

وعلى هذا الأساس تكون الكناية زخرفة ذات قيمة جماليَّة في الدرس البلاغيِّ العربيِّ القديم، وتصوريَّة إدراكيَّة ذهنيَّة في الدرس اللسانيِّ المعرفيِّ الحديث، فيرونها حقائق بصدد الفكر والنسق التصوريِّ البشريِّ[١٨]، فتحليلنا لتلك العلاقات والترابطات والمشاهدات تفرض الكناية نفسها وسيطًا بين الذهن البشريِّ، وما يحيط به من أَشياء، وهذا ما أنتجه عبد الله بن عفيف الأزدي، الذي ربط بين قضيتين متنوِّعتين بتصوُّر مركزيٍّ واحد على وفق الآتي: ((**النَّسب + التصوُّر الكنائي = الكذب**))، فربطت الكناية بين خلفيَّات النَّسب الذليلة مع التصوُّرات الممكنة لقضيَّة الكذب التي يتفاعل معها المجتمع في تصوُّراته العامَّة، فأتاحت الكناية على وفق الخطاب الحجاجيِّ وسط تعبيري تصوُّري لفهم الكذب عن طريق شيء آخر، وهو ضعف النسب وسقوطه؛ وهذا ما يشترك في تأويله المتكلِّم والمتلقِّي من أَجل تحقيق الجانب الإقناعيِّ، فكلاهما يتجاذبان ((خاصيَّة مميزة هي الميزة التأويليَّة للأشياء والكلمات، إذ تكتسب في ظلِّها أبعادًا ومعاني جديدة متلوِّنة بألوان الذات المتكلمة والمتلقِّية والتي تصبغ بصبغة مجازية تفسح لها المجال للتأويل، ومن ثم يصبح المعنى محصورًا في ذهن المتكلِّم والمتلقِّي))[١٩].

هذا التصوُّر الذي نسجه المتكلِّم لا يمكن أن يُقدِّم كدليل معرفيٍّ على كذب المتلقِّي إن لم يمتلك الخلفيَّة المعرفيَّة التي خبرها (**سقوط النَّسب القيمي لمتلقِّي**

١٨ جورج لايكوف ومارك جونسون, الاستعارات التي نحيا بها, ترجمة. عبد المجيد جحفة الدار البيضاء-المغرب:دار توبقال للنشر, (٢٠٠٩), ١٥.

١٩ بوزناشة, نور الدين. البلاغة الجديدة (النظرية الحجاجية) عند بيرلمان جامعة الأمير عبد القادر للعلوم,(د.ت.), ١٠.

الخطاب)، ففهمها، وتشارك معها تصوُّرات الجمهور، وساقها عن طريق تصوُّراته الذهنيَّة للموقف عن طريق الفهم لقيم اجتماعيَّة يؤمن بأهمِّيَّتها المتكلِّم والمتلقِّي إذ عمد المنشئ على سلب المخاطب المكانة الاجتماعيَّة التي يعيشها مع من حوله بتذكيره بأصله البغيض، والمنبوذ وسط المجتمع، فعزَّز درجة الإقناع بتصوُّراته المطابقة لواقع الموقف وخلفيَّاته المعرفيَّة.

ثانيا: التَّصوُّرُ الدينيُّ:

نوعيَّة المتلقِّي وحوليَّات الخطاب الحجاجي توجه منتج الخطاب إلى التَّصوُّر الديني للموقف، فبيئة الخطاب بيئة تستند إلى القيم الدينيَّة المتمثِّلة في القرآن الكريم، فتعدُّها حجَّة راسخة عند جميع المخاطبين، فزياد يدعي إمارة الإسلام، والجمهور جمع من المسلمين، فكيف أنتج خطابًا تصوُّريًا معرفيًا يعزِّز هذه القيمة، ويوازي هذه البيئة الدينيّة؟

الخلفيَّة المعرفيَّة الدينيَّة القرآنيَّة لصحابي عبد الله بن عفيف الأزدي منحته القدرة الأدائيَّة باستدعاء ذهني للخطاب القرآنيِّ المُصوّر لهذه البيئة المتناقضة في قيمها الأخلاقيَّة، فأمير الإسلام يقتل حفيد نبي الله، ويتفاخر في سبي عيالات رسول الله ، فساق خطابه الحجاجي بتصوُّراته الذهنيَّة لما ورد في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾(آل عمران: ٢١) ، فرفع بذلك درجة إقناع الجمهور بتضمينه تصوُّرات الخطاب القرآنيِّ الفاعلة في وصف مجريات الموقف الحجاجيِّ، فأزاح حجيَّة انتصار السيف على الدّم من جذورها الشكليَّة التي رسمها عبيد الله بن زياد مع جمهوره؛ لأنَّ القيمة المعرفيَّة الدينيَّة الواردة في الخطاب الحجاجي، والتي وثَّقها الخطاب القرآنيُّ رفعت من مستوى إقناع الجمهور عبر تصوُّراتهم الذهنيَّة القرآنيَّة؛ لأنَّهم أسلموا لتلك القيم بصورة معلنَّة أو غير معلنة .

وعلى أي حال من الأحوال لا بدَّ من القول بأنَّ توظيف النَّص القرآنيّ بصورة عامَّة، ومضامين صوره الفكريَّة بشكلٍ خاص يمنح الخطاب الحجاجي قوَّة التأثير والإقناع عند متلقِّي الخطاب؛ لما يمتلكه من سلطة دينيَّة فائقة على الجانب العقدي أوَّلًا، وثانيًا بما يحمله التصوير القرآنيّ من أداء عالٍ في مخاطبة الكينونة الإنسانيَّة الحاملة لتصوُّرات عقليَّة، ونفسيَّة، وحسِّيَّة بلغة فنِّيَّة موحيَّة متضمِّنة التصوير الموحي، والمعبِّر، والإيقاع المؤثِّر.

ومن أجل أن يعزِّز عبد الله بن عفيف الأزدي مستوى الإقناع عند الجمهور رفد تصوُّراتهم بهاتين القيمتين (القيمة الاجتماعيَّة للنسب) ، (والقيمَّة الدينيَّة للقرآن)، فأعطت كلًّا منهما درجة تعمق نتيجة التَّصور الجديد (الكذب) ، على الرغم من اختلاف كلٍّ منهما في المعنى والاشتغال ، هذه الرؤية نجدها في تمثُّلات اللسانيَّات المعرفيَّة كثيرة من بينها المزج التَّصوري، والأفضيَّة الذهنيَّة التي تعود في أصلها إلى الباحث اللساني (جيل فوكوني)، ويرى إمكانيَّة إعادة قراءة تلك الأبنية وتفسيرها بفضاءات الذهنيَّة التي تنتظم، وتترابط في ضوء قرائن تركيبية، ومقاميَّة، وثقافيَّة، واجتماعية، هذه الأفضيَّة تمكن المتلقِّي من الوصول إلى الدلالة المقصودة إلى المحال عليه على وفق آليَّات يوظِّفها المتكلِّم ليجر المتلقِّي إلى تأسيس الفضاء الذهني الجديد عند التوظيف الفعليِّ للغة في أثناء إنتاج الخطاب بالاستعانة بمجموعة من التلميحات غير اللغويَّة التي تشمل خلفيات، بمعنى أنَّه لا يكون للعبارات اللغويَّة نفسها وإنَّما لقيمة تصوُّريَّة جديدة أنتجها الذهن البشري، فهي آليَّة إدراكيَّة نوظِّفها بهدف الوصول إلى المعنى المقصود من تلك الأبنية[٢٠].

نستخلص ممَّا تقدَّم في ما ورد من تحليل للخطاب الحجاجيِّ الأوَّل للصحابي عبد الله بن عفيف الأزدي الموجَّه لعبيد الله بن زياد بأنَّ هناك تصوُّرات ذهنيَّة قبليَّة

٢٠ الزناد, الأزهر. نظريات لسانيَّة عرفنيَّة, ط١ تونس: الدار العربية للعلوم، ناشرون, (٢٠١٠), ٢٢٢.

سبقت إنتاج الخطاب الحجاجي استثمرها المتكلِّم لرفع مستوى الإقناع عند متلقِّي الخطاب، وهذه التصوُّرات يمكن أن نحصرها في قيمتين تصوريتين، أوَّلهما: القيمة الاجتماعية للنسب، وثانيهما: القيمة الدينيَّة للقرآن الكريم، تفاعلت هاتان القيمتان لتشكِّلا تصوُّرًا عميقًا، وواضحا لشخصيَّة متلقِّي الخطاب فكرَّسا صفة (الكذب) عند متلقِّي الخطاب.

ولم يتراجع عبد الله بن عفيف الأزدي في خطابه الحجاجيِّ عن موقفه اتِّجاه هذه الشخصيَّة الازدواجيَّة المنافقة التي فضلت المال أو الدنيا على الآخرة، على الرغم من أمر عبيد الله بن زياد أمير الكوفة جلاوزته بإحضاره، وقتله، فبقيَّت مسارات، وقيم الحجاج على حدودها المرسومة لها في خطابه الأوَّل، ومن أجل أن يؤكِّد هذه الصفة (الكذب) عند عبيد الله بن زياد، ويرفع من مستوى الإقناع عند الجمهور ألحق خطابه الحجاجيّ الثاني بتصوُّراته الذهنيَّة السابقة، فقال قبل قتله : ((**الحَمْدُ لله رَبِّ العَالِمِيَن، أَمَا وَإِنِّي كُنتُ أَسأَلُ رَبِّي أَنْ يَرزُقَنِي الشَّهَادَةَ مِنْ قَبْلُ أَنْ تَلِدُكَ أُمُّكَ، وَسَأَلتُ اللهَ أَنْ يَجعَلَهَا عَلَى يَدِي أَلعَنِ خَلقِهِ وَأَبغَضِهِم إِلِيهِ، وِلَمّا كُفَّ بَصَرِي يَئِستُ مِنَ الشَهَادَةِ، أَمَّا الآنَ وَالحَمْدُ لله الّذِي رَزَقَنِيهَا بَعْدَ اليَأسِ، وَعَرّفَنِي الإِجَابَةَ فِي قَدِيمِ دُعَائِي**))

وعند إمعان النظر في مسارات هذا الخطَاب الحجَاجي نجد المتكلِّم قد أَوجز في تصوُّراته الذهنيَّة السابقة للموقف في رؤيته، وطلبه من الله سبحانه وتعالى، فقدَّم تصوُّرًا تأريخيًّا للموقف الحاصل، وهو طلبه للشهادة، وهذا ما يتمثَّل في قوله: ((**الحَمْدُ لله رَبِّ العَالِمِينَ، أَمَا وَإِنِّي كُنتُ أَسأَلُ رَبِّي أَنْ يَرزُقَنِي الشَّهَادَةَ...**))، والشهادة قيمة عليَا في العقيدة المُسلمة، صوَّرها المتكلِّم عبر محطَّاته الجهاديَّة التي خاضها في الدفاع عن عقيدة مُشتركة لجميع الحاضرين، والتي من المفترض أَن يمثِّلها الأَمير بصورة خاصَّة، والجمهور بصورة عامَّة، فهي سمة رمزيَّة تصوريَّة عليا وظَّفها

المتكلِّم في خطابه الحجَاجيِّ؛ ليعزَّز مستويات الإقناع الحجَاجيِّ السابقة عند المتلقِّي.

ولم يقف الصحابيُّ عبد الله بن عفيف الأزدي لتعزيز قناعة المتلقِّي بما يقول عند قيمة الشَّهادة التي رغب في الحصول عليها في جهاده مع المسلمين الأَوائل، فعاد مرَّة ثانيَّة ليؤكِّد لنا حقيقة هذا النَّسب، فينادي عبيد الله بأمِّه فيقول: ((... **أَمَا وَإِنِّي كُنتُ أَسأَلُ رَبِّي أَنْ يَرزُقَنِي الشَّهَادَةَ مِنْ قَبْلُ أَنْ تَلِدُكَ أُمُّكَ، وَسَأَلتُ اللهَ أَنْ يَجعَلَهَا عَلَى يَدِي أَلعَنِ خَلقِهِ وَأَبغَضِهِم إِلِيهِ**...))، وهي إشارة تصوُّريَّة غير مباشرة؛ لما ضمنها من سمات (اللعن)، و(البغض) من قبل الله سبحانه وتعالى لمثل هكذا أُناس، فحمل الخطاب الحجاجي تصوُّرات ذهنيَّة ذات قيمة دينيَّة أُستُقيَت من مضامين قرآنيَّة، وهذا ما يمكن أن نجده في قوله تعالى: ﴿ **عِنْدِ اللهَّ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهَّ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾(البقرة: ٨٩)، وفي قوله تعالى : م﴿**مَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهَّ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾(هود: ١٨)، وفي قوله تعالى : ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهَّ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهَّ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهَّ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾(آل عمران: ١١٢.) .

ففي الخطاب الحجاجيِّ قيم أخلاقيَّة مُستنبطة من الخطَاب القرآنيِّ، عمل على تصويرها المتكلِّم ليعمِّق تصوُّرات الجمهور وصولًا لمحدِّدات الفكرة في الإقناع والتواصل، وبذلك كشفت الصورة عن جذور اجتماعيَّة للمخاطب دفعت لقتل عبد الله بن عفيف ليخمد هذا الصوت قبل أن ينبري له، ولا يخفى ما لهذا الموقف من تبعات اجتماعيَّة توقظ العقول، وتُأجج النفوس إذ توالت البيانات الإعلامية في خطب أهل البيت ﷺ في الكوفة والشام لتصحيح مسار المجتمع ، وتأليب الرأي

العام, ومنح الثورة ((بعدها الإعلامي والقوة التأثيرية في نفوس الجماهير, بحيث لولا هذا الدور لاستطاع النظام الأموي أن يشوِّه الثورة ويقوم بعملية التعتيم على أهدافها والقضاء على نتائجها، كما يحصل للكثير من الحركات الإصلاحية في العالم))[٢١].

الخاتمة والنَّتائج:

١. كشف البحث عن آليَّات الإقناع عند الصَّحابي عبد الله بن عفيف الأزدي، وهي تستند إلى خلفيات ثقافيَّة ذات قيمة دينيَّة مجتمعيَّة مؤثِّرة في تلقِّي الجمهور، وهذا ما ظهر مصاديقه في تحليل النصوص الخطابيَّة.

٢. سلّط البحث الضوء على شخصيَّة إسلاميَّة مؤثِّرة في تعميق أخلاقيات الدين الإسلاميَّ، والتي عاشها مع النبي ﷺ، فانعكست في سلوكياتها الإنسانيَّة، فظهر جوهرها في خطابه الحجاجي في أثناء واقعة الطَّف بشكل عمليٍّ، وتطبيقيٍّ، وهذا ما وجدناه واضحًا في التزام الصدق، وقول الحقيقة، وثبات الموقف على الرغم من خطورته الذي كلَّفه فقدان حياته.

٣. كشف لنا عنوان الدراسة إمكانيَّة دراسته كموضُوع في مرحلَة الماجستير أَو الدكتوراه في الدراسات الأَكاديميَّة؛ لوضُوح القيم الأخلاقيَّة التي عزَّزها الإسلام في الفَرد المُسلم على مرِّ العصُور.

٢١ الهديبي ,حبيب إبراهيم قراءات في بيانات الثورة الحسينية وأبعادها الرئيسية (المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات(د.ت.), ٢٠٦.

المصادر

القرآن الكريم

أنطوفيتش, ميهايو. "مكانة علم الدلالة في العلوم العرفانية المعاصرة." ترجمة حليمة أبو الريش. مجلة فصول, العدد. ١٠٠ د.ت..

الإدريسي, على. في تأسيس الحجاج لدى مفكري الإسلام. ط١. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة, ٢٠٠٦.

البلاذري, أحمد بن يحيى بن جابر. أنساب الأشراف. حققه وعلق عليه محمد باقر المحمودي. ط١. بيروت-لبنان: دار التعارف للمطبوعات, ١٩٧٧.

التميمي, جنان. الزمن في العربية من التعبير اللغوي إلى التمثيل الذهني دراسة لسانية إدراكيّة, ٢٠١٢.

الجاحظ, أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب. البيان والتبيين. ط١. بيروت: دار ومكتبة الهلال, ١٤٢٣هـ.

الجرجاني, عبد القاهر. دلائل الإعجاز في علم المعاني. تحقيق محمود محمد شاكر. ط٥. القاهرة: مكتبة الخانجي, ٢٠٠٤.

الزناد, الأزهر. نظريات لسانيَّة عرفنيَّة. ط١. تونس: الدار العربية للعلوم، ناشرون, ٢٠١٠.

الطبري, محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غال الآملي. تاريخ الطبري(تاريخ الرسل والملوك). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر: دار المعارف, ١٩٦٠.

العمري, محمد. في بلاغة الخطاب الإقناعي. ط٢. بيروت: إفريقيا الشرق، دار البيضاء, ٢٠٠٢.

القالي, أبو علي. كتاب الأمالي. بيروت-لبنان: دار الآفاق الجديدة, د.ت.

الهديبي, حبيب إبراهيم. قراءات في بيانات الثورة الحسينية وأبعادها الرئيسية. المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات, د.ت.

بروطون, فيليب. الحجاج في التَّواصل،. ترجمة محمد مشبال. ط١. القاهرة, ٢٠١٣.

ابن دحمان, عمر. "الاستعارات والخطاب الأدبي مقاربة معرفية معاصرة." كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري, ٢٠١٢.

ابن غريبة, عبد الجبار. مدخل إلى النحو العرفاني. ط١. تونس: مسكلياني للنشر، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة, ٢٠١٠.

بوزناشة, نور الدين. البلاغة الجديدة (النظرية الحجاجية) عند بيرلمان. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم, د.ت.

جرجيس, سامي عياد حنا، و كريم زكي، و نجيب. معجم اللسانيات الحديثة. مكتبة لبنان, د.ت.

جورج لايكوف ومارك جونسون. الاستعارات التي نحيا بها. ترجمة عبد المجيد جحفة. الدار البيضاء-المغرب: دار توبقال للنشر, ٢٠٠٩.

زينايدا بوفوفا ويوسف ستيرنين. اللسانيات الإدراكية. ترجمة تحسين رزاق عزيز, د.ت.

عادل, عبد اللطيف. بلاغة الإقناع في المناظرة. ط١. الرباط: دار الأمان, ٢٠١٣.

هاري, ميلزو. فن الإقناع- كيف نسترعي انتباه الآخرين وتغيّر آراءهم وتؤثر عليهم. ط١. مكتبة جرير للنشر والتوزيع, ٢٠٠١.

هنون, هادي سعدون. التَّصوير الفَنِي في خُطَب المسيرَة الحسينيَّة. ط١. العتبَة العَلويَّة المُقدَّسة, ٢٠١١.

ويليام كروفت ودي. ألان كروز. اللسانيات الإدراكية: مدخل إلى المفاهيم الأساسية (Cognitive Linguistics: An Introduction), د.ت.

References

The Glorious Qur'an

Adel, A. L. (2013). Balāghat al-iqnā‘ fī al-munāẓarah (1st ed.). Dar Al-Aman.

Al-Balathari, A. B. Y. (1977). Ansāb al-ashrāf (M. B. al-Mahmoudi, Ed.; 1st ed.). Dar al-Ta'aruf.

Al-Idrisi, A. (2006). Fī ta’sīs al-ḥijāj ladā mufakkirī al-islām (1st ed.). Matba'at al-Najah al-Jadida.

Al-Jahiz, A. U. A. B. B. (1423 AH). [Title of work missing in original list] (1st ed.). Dar wa-Maktabat al-Hilal.

Al-Jarjani, A. (2004). Dalā’il al-i‘jāz fī ‘ilm al-ma‘ānī (M. M. Shakir, Ed.; 5th ed.). Maktabat al-Khanji.

Al-Omari, M. (2002). Fī balāghat al-khiṭāb al-iqnā‘ī (2nd ed.). Afrique Orient.

Al-Qali, A. A. (n.d.). Kitāb al-amālī. Dar al-Afaq al-Jadida.

Al-Tabari, M. (1960). Tārīkh al-tabari (Tārīkh al-rusul wa-al-mulūk) (M. A. al-Fadl Ibrahim, Ed.). Dar al-Ma'arif.

Al-Tamimi, J. (2012). Al-zaman fī al-‘arabiyyah min al-ta‘bīr al-lughawī ilā al-tamthīl al-dhihnī: Dirāsah lisāniyyah.

Al-Zanad, L. (2010). Naẓariyyāt lisāniyyah ‘irfāniyyah (1st ed.). Arab Scientific Publishers.

Antović, M. (n.d.). The status of semantics in contemporary cognitive sciences (H. A. Al-Rish, Trans.). Fussul Journal, (100).

Ben Dahmane, O. (2012). Al-isti‘ārāt wa-al-khiṭāb al-adabī: Muqārabah ma‘rifiyyah mu‘āṣirah. Faculty of Arts and Humanities, Mouloud Mammeri University.

Ben Gh., & Abdel J. (2010). Madkhal ilā al-naḥw al-ʻirfānī (1st ed.). Miskiliani Publishing, Faculty of Arts and Humanities at Manouba.

Bouznacha, N. (n.d.). Al-balāghah al-jadīdah (al-naẓariyyah al-ḥijājiyyah) ʻinda Perelman. Emir Abdelkader University of Islamic Sciences.

Breton, P. (2013). Al-ḥijāj fī al-tawāṣul (M. Mishbal, Trans.; 1st ed.).

Croft, W., & Cruse, D. A. (n.d.). Cognitive linguistics: An introduction.

Gergis, S. A. H., Zaki, K., & Naguib. (n.d.). Muʻjam al-lisāniyyāt al-ḥadīthah. Lebanon Library.

Hanoon, H. S. (2011). Al-taṣwīr al-fannī fī khuṭab al-masīrah al-ḥusayniyyah (1st ed.). Holy Alawite Shrine.

Harry, M. (2001). Fan al-iqnāʻ: Kayfa nastarʻī intibāh al-ākharīn wa-nughayyiru ārā'ahum wa-nu'aththiru ʻalayhim (1st ed.). Jarir Bookstore.

Hudaibi, H. I. (n.d.). Qirā'āt fī bayānāt al-thawrah al-ḥusayniyyah wa-abʻādihā al-ra'īsiyyah. Islamic Foundation for Research and Information.

Lakoff, G., & Johnson, M. (2009). Al-istiʻārāt allatī naḥyā bihā (A.-M. Jahfa, Trans.). Dar Toubkal.

Popova, Z., & Sternin, I. (n.d.). Al-lisāniyyāt al-idrākiyyah (T. R. Aziz, Trans.)